دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تقويم الاحصاء في الدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية
المصدر:	المجلة الاجتماعية القومية
الناشر:	المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية
المؤلف الرئيسي:	صالح، ناهد
المجلد/العدد:	مج 10, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1973
الشهر:	مايو
الصفحات:	283 - 286
رقم MD:	265299
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الجوانب الاجتماعية، الاختبارات الاحصائية، الأسلوب الاحصائي، الدراسات المقارنة، الانثروبولوجية الاجتماعية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/265299

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تقويم الاحصاء فى الدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية*

الدكتورة ناهد صالح **

من أهم نقط الخلاف التى أثيرت بين علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، منذ أواخر القرن المـــاضى ، ولا تزال تثار حتى اليوم ، هى امكانية وحدود استخدام الاحصاء فى الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية .

فمنذ ألقى ادوارد تيلور Tylor فى سنة ١٨٨٨ محاضرته الرائدة فى هذا الموضوع ، والتى ربط فيها بين ازدهـــار الأنثروبولوجيا الاجتماعية وتقدمها ، وبين استخدام الاسلوب الاحصائى ، لفت أنظار الأنثروبولوجيين الى امكانية استخدام الاحصاء فى الدراســـات الأنثروبولوجية . الا أن المعارضة التى لقيها تيلور كانت كفيلة بتضافرها مع الظروف التى كانت تعيشها الأنثروبولوجيا اذ ذاك ، باخماد دعوته هذه ، بحيث ظل الاتجاه المسيطرة على الانثروبولوجيا هـــو رفض الاحصـــاء ، وتجنب الأرقام ، والاكتفاء بالتعبير عن الحقائق الاجتماعية تعبيرا وصفيا كيفيا . الى أن طرح الموضوع ثانية للمناقشة ، بنفس الحدة ، فى أواخر الأربعينات . وانقسمت ازاءه الآراء ما بين مؤيد ومعارض .

وقد ساعد على تجـــدد الدعوة ، بلا شـــك ، اتســـاع مجال اهتمام الأنثروبولوجيا . فحين كانت الأنثروبولوجيا تحصر مجـــال اهتمامها فى دراسة المجتمعات البدائية ، البسيطة ، المتجانسة ، والصغيرة الحجم نسبيا ، لم تظهر الحاجة الى الاستعانة بأساليب بحث أخرى ، بجانب الأساليب التقليدية فى البحث الأنثروبولوجى . ولكن ما أن ادخلت الأنثروبولوجيـــا الاجتماعية المجتمعات القروية والحضرية فى مجال اهتمامها ، حتى وضحت الحاجة الى ذلك للتغلب على بعض الصعاب التى واجهتها فى دراسة تلك المجتمعات والتى لم تكن تواجهها من قبـــل . وفى الوقت ذاته ، فان تميز الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن الأنثروبولوجيـــا الثقافية ، واتخاذ البنـــاء الاجتماعى موضوعا لدراستها ، والمنهج المقارن منهجا لها ، أظهر أيضا الحاجة الى الاستعانة بالاسلوب الاحصائى لدراسة وفهم البناء الاجتماعى فى محاولة لارساء علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، أو علم الاجتماع المقارن على حد تعبير راد كليف براون : Radcliffe Brown

---

(*) ملخص رسالة دكتوراه فى علم الانثروبولوجيا ، باشراف الاستاذ أحمـــد الخشـــاب قدمت الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .

(**) خبيرة ورئيسة وحدة بحوث الرأى العام والاعلام ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة .

وكل هذه الظروف ، متضافرة مع ما احرزته العلوم الطبيعية بفضل التزامها بالمنهج العلمى ، ودقة أساليب بحثها ، واستعانتها بقوالب التفكير الرياضى ، بحيث اصبحت لغة المعادلات والرموز الاحصائية لغة مألوفة لها، وما حققته العلوم الاجتماعية الأخرى من تقدم نسبى ، مع ازدياد التعاون بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع ، كل هذه الظروف دفعت الأنثروبولوجيين الى اعادة النظر فى مناهجهم وأساليب بحثهم وكيفية تدعيمها ، ومن هنا بدأت اخيرا ، تظهر فى كتاباتهم مناقشات منهجية ، كانت من أهمها مناقشة امكانية وحدود استخدام الاحصاء فى الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية .

فنجد البعض يتحمس لهذا الاسلوب بحيث يذهب الى القول بأنه كلما تقدمت الأنثروبولوجيا وبلغت درجة أعلى من الكمال والتطور ،، زاد الاتجاه الى الدراسات الكمية . وكلما ابتعدت الأنثروبولوجيا عن دراسة المجتمعات المتجانسة والمستقرة ، زاد الخطأ الناجم عن اتباع الأساليب التقليدية للبحث الأنثرروبولوجى ، وبرزت الحاجة الى الأسلوب الاحصائى والمفاهيم الاحصائية .

ونجد البعض يربط بين دراسة البناء الاجتماعى الذى تتخذه الأنثروبولوجيا الاجتماعية موضوعا لها ، وبين ادخال الأسلوب الاحصائى على أساليب البحث الأنثروبولوجية التقليدية . فنجد فورتيس Fortes يقصر مفهوم البناء الاجتماعى على ملامح الأحداث الاجتماعية ، والتنظيمات التى يمكن اخضاعها للوصف والتحليل الكمى ، مؤكدا أن الأساليب الاحصائية أساليب جوهرية لدراسة البناء الاجتماعى فى المجتمعات كافة . ونجد ليفى ستروس Lévi-Strauss يشير الى الرأى القائل بأن احدى المزايا الرئيسية لفكرة البناء الاجتماعى ، هى انها تسمح بادخال القياس فى الأنثرولوجيا الاجتماعية ، محذرا المشتغلين بالعلوم الاجتماعية من أنهم لن يجدوا لهم مكانا على المسرح العالمى ما لم يصبحوا على معرفة عميقة ومتينة بالرياضيات عموما . ونجد ميردوك Murdock يعبر عن حماسه للاسلوب الاحصائى باعتماده كلية عليه فى دراسته عن البناء الاجتماعى ، مستندا فى ذلك الى أن بيانات الثقافة والحياة الاجتماعية تقبل المعالجة العلمية الدقيقة مثلها فى ذلك مثل وقائع العلوم الفيزيقية والبيلوجية » . مدعيا أنه باستخدامه الاحصاء وصل بالأنثروبولوجيا الاجتماعية الى نفس مستوى الدقة فى العلوم الطبيعية .

ولكن فى الوقت الذى تحمس فيه هؤلاء وغيرهم للاسلوب الاحصائى ، نجد من يتصدى لهذا الاتجاه . فنجد ملا جيرفتش Gurvitch يرجع اساءة استخدام مصطلح « البناء الاجتماعى » الى الرابطة المصطنعة التى يرغب بعض العلماء فى اقامتها بين المقاييس الرياضية وبين البناء الاجتماعى » موضحا خطورة ذلك بقوله « الا يعنى هذا ، وببساطة متناهية ، أن يصبح البناء الاجتماعى ملحقا ، أو تذييلا للبناء الرياضى ؟ » .

وفى مقابل هذا الرفض الصريح للاسلوب الاحصـــائى والذى عبر عنه جيرفتش ، نجد بعض الأنثروبولوجيين يقفون منه موقفا حذرا ، مفترضين أن الاحصاءات تتميز عادة بالدقة الزائفة ، أو تؤدى الى التضليل ، أو أن المعالجة الوظيفية تأتلف بصعوبة من الدقة الرياضية . بينهما نجد أغلب الأنثروبولوجيين يقفون منه موقفا سلبيا ، فيتجنبون استخدامه فى دراساتهم أو حتى ادراجه فى مناقشاتهم .

ومن هنا جاءت أهمية هذه الرسالة فى انها تعالج نقطة خلاف لا تزال قائمة بين علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية لم يبت فيها حتى اليوم ، رغم اهميتها من حيث انها تتعلق بمناهج بحث هذا العلم .

وقد ناقشت الرسالة نقطة الخلاف هذه مناقشة نظرية عبـــر المدارس الأنثروبولوجيـــة المختلفة ، مبرزة العلاقة القـــوية بين النظرية والمنهج ، وبالتالى بينهما وبين الموقف من اســـتخدام الأسلوب الاحصـــائى وكيفية استخدامه . وقد استلزم ذلك تناول مناهج البحث فى الانثروبولوجيا وفى مقدمتها المنهج التاريخى والمنهج المقارن ، وتقويم ما عرف بأسم « الطريقة الأنثروبولوجية » أو ما يطلق عليه تجاوزا المنهج الأنثروبولوجى والذى يســـتند أساسا الى اسلوب الملاحظة بالمشـــاركة واسلوب الاستعانة بالأخباريين . كما استلزم أيضا تقويم الاسلوب الاحصائى تقويما نظريا من حيث الوظائف التى يحققها أو يقصر دون تحقيقها ، وذلك من خلال أبعاد ثلاثة تتناول الانثروبولوجيا الاجتماعية موضوعا ، ومنهجا ، وغاية .

وبنـــاء على هذا التقويم النظرى للاسلوب الاحصائى ، فى ضوء مناهج البحث وأساليبه الأخرى ، حدد الباحث موقفه من الاسلوب الاحصائى ، ثم قام باختبار أبعـــاد هذا الموقف فى دراسة ميـــدانية تناولت النسق الاقتصادى لقريتين ، احداهما قرية زراعية ، والأخرى قرية زراعية صناعية أو هى قرية فى طريقها الى التحول الى مجتمع صناعى . وقد صممت هذه الدراسة بحيث أمكن بنـــاء عليها الاجابة على النقاط التى وضعت أساسا لتقويم الاسلوب الاحصائى فى الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية وهى :

أولا : مدى امكانية اســـتخدام الأســـلوب الاحصـــائى فى جمـــع المـــادة الانثوجرافية :

أمكن بالاعتماد على الاســـلوب الاحصائى جمع بيانات عن العـــلاقات الاجتماعية التى هى محور الدراسة الانثروبولوجية الاجتماعية . كما تبين أيضا صلاحية هذا الأسلوب لجمع بعض البيانات عن ثقافة المجتمع . الا أنه تبين أن هناك بيانات اثنوجرافية لا يمكن جمعها بالاسلوب الاحصائى ، وأخرى لا يستحسن جمعها بواسطة هذا الاسلوب .

ثانيا : مدى مساهمة الاسلوب الاحصائى فى دعم الأساليب التقليدية للبحث الانثروبولوجى :

اتضح من الدراسة أنه لا يمكننا فى الدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية متى اتخذنا المنهج المقارن لنا الاكتفاء بالأساليب التقليدية للبحث الانثروبولوجى . كما تبين أيضا انه لايمكن الاستغناء بالاسلوب الاحصائى تماما عن الأساليب التقليدية فى البحث الانثروبولوجى ،بل أن هذه الأساليب ضرورية ولازمة لتصبح الأداة الاحصائية منبثقة عن واقع المجتمع .

ثالثا : مدى مساهمة الاسلوب الاحصائى فى الكشف عن التساند الوظيفى للنظم الاجتماعية :

اتضح من الدراسة انه فى حالة اقتصاد المقارنة على مجتمعين فحسب فان الاسلوب الاحصائى لايمكن من الكشف عنالعلاقة الوظيفيةبين النظم ، وانما يكتفى فقط بتقدير وجود علاقة وتحديد مداها ، دون تحديد لنوع هذه العلاقة ، هل هى علاقة وظيفية أم هى علاقة وظيفية تاريخية فحسب . ولكن حيث تمتد المقارنة عبر الثقافات فانه يمكن تمييز نوع العلاقة هذه وفقا للاسلوب الاحصائى الذى اتبعه Naroll ومع ذلك فالاسلوب الاحصائى فى حد ذاته يعجز عن معرفة وظيفة نظام ما ، وان كان بواسطته وحده يمكن الاجابة على هذا السؤال هل تختلف وظيفة النظام الواحد باختلاف المجتمعات أم لا ، والى أى مدى يرتبط هذا الاختلاف بالبناء الاجتماعى للمجتمع .

رابعا : مدى ضرورة الاسلوب الاحصائى لاتخاذ المنهج المقارن منهجا للأنثروبولوجيا الاجتماعية :

اتضح من هذه الدراسة أن الاسلوب الاحصائى لا غنى عنه متى اتخذ الباحث المنهج المقارن منهجا له . وتزداد هذه الضرورة متى امتدت المقارنة عبر الثقافات ، وعبر المجتمعات . فد اثبت ضرورته للمنهج المقارن سواء بالنسبة لتحديد وحدات المقارنة ، أو توفير المادة الصالحة للمقارنة ، أو تقديم الأساليب الدقيقة لاجراء المقارنة كما أثبت جوهريته للسير بالانثروبولوجيا الاجتماعية نحو تحقيق علم الاجتماع المقارن .